

ملخص اسئلة وشيء من اجوبة - الحلقة ٣٥ / الشيخ الغزّي  
- ما هو موقف اهل البيت عليهم السلام من (نظرية التطور) ؟ ج١  
السبت : ٢١/ربيع الأول/١٤٤٥هـ - الموافق ٢٣/١٠/٧٧

الرسالة التي بين يدي من السويد، والسؤال سؤال متكرر في الكثير من الرسائل التي وردتني: ما هو موقف أهل البيت من نظرية التطور وهل ما ذكر في كتاب التوحيد للمفضل بن عمر دليل على تأكيدها؟!  
الأسئلة كثيرة عن موقف دين العترة الطاهرة من نظرية التطور..

سأبدأ من الشطر الثاني من السؤال: وهل ما ذكر في كتاب التوحيد للمفضل بن عمر دليل على تأكيدها؟  
كتاب التوحيد للمفضل بن عمر، في الحقيقة الكتاب لإمامنا الصادق وليس للمفضل بن عمر، إنما الذي روى لنا الكتاب هو المفضل بن عمر، المفضل بن عمر شخصية شيعية بارزة وكان نابغة من نوابغ رواة الحديث، والاسم الأصلي لهذا الكتاب هو: (كتاب فكر)، لأن الإمام الصادق حينما كان يملي على المفضل بن عمر يبدأ مقاطع حديثه: (فكر يا مفضل فكر)..  
لا بد أن نعرف من أن نسخ هذا الكتاب مختلفة، هناك نسخ ناقصة، هناك نسخ مزيده، هذه النسخة التي بين يدي هي من النسخ المزيده، والكتاب أيضاً فيه تحريف وتصحيح كسائر الكتب الحديثية الأخرى..

طبعة دار زين العابدين/ الطبعة الأولى/ ٢٠٢٢ ميلادي: كتاب فكر صحيح أنه قد تناول جانباً من أسرار الخلق ولذا عرف بين الشيعة بكتاب التوحيد لأنه كان بمثابة رد على الملحدين في ذلك الوقت، لكن الكتاب إذا أردنا أن نسر تفصيله وأغواره من جهة المعلومات يناسب زمانه، لأن العلوم في زماننا قد تطورت كثيراً، الإمام الصادق كان يتحدث وفقاً لزمانه لأن الكلام كان رداً على الملاحدة في ذلك الوقت..

لكننا نستطيع أن نتفح من بعض الإشارات العميقة في كلام إمامنا الصادق لوقتنا هذا، هذا، نستطيع أن نتفح من المنطق الذي بني عليه الكتاب، لو كان عندنا من مؤسسة علمية، لا أتحدث عن مؤسسة علمية دينية، وإنما أتحدث عن مؤسسة علمية أكاديمية تكون متخصصة بالعلوم المعاصرة..  
ما يرتبط بنظرية التطور؛ ما جاء من روايات وأحاديث لا علاقة لها بنظرية التطور، ربما هناك مقطع في الكتاب تحدث فيه إمامنا الصادق عن وجه الشبه بين خلق الإنسان وخلق القرد، لكن الإمام لم يقل من أن ترابطاً خلقياً ترابطاً تكوينياً فيما بين القرد والإنسان.

في الصفحة الخامسة والثلاثين بعد المئة من الطبعة التي أشرت إليها وتحت هذا العنوان: "القرد وخلقته والفرق بينه وبين الإنسان": تأمل خلقه القرد - يتحدث مع المفضل بن عمر إمامنا الصادق، والمفضل يكتب: وشبهه بالإنسان في كثير من أعضائه أعني الرأس والوجه والمنكبين - المراد من المنكبين الكتفين - والصدر وكذلك أحشاه - أحشاه الداخلية - شبهه أيضاً بأحشاء الإنسان وخص مع ذلك بالذهن - بالذهن بالفهم مستوى من مستويات الفهم بالقياس إلى الحيوانات الأخرى - والفطنة التي بها يفهم عن سائس - السائس الذي يسوسه يدر به يطوعه - ما يومئ إليه - بالإشارة والحركة - ويحي كثيراً - القرد يحاكي الإنسان في أفعاله وحركاته - مما يرى الإنسان يفعل، حتى أنه يقرب من خلق الإنسان وشماله في التدبير في خلقته على ما هي عليه أن يكون عبرة للإنسان في نفسه - ما هي هذه العبرة؟ - فيعلم أنه من طينة البهائم - الكلام عن الإنسان، فإذا ما نظر إلى القرد وخلقته وإلى التشابه الكبير فيما بين أعضاء وأحشاء القرد وأعضاء وأحشاء الإنسان فإن الإنسان سيعلم بأنه هو جزء من البهائم، جزء من الحيوانات، لكنه تميز عن الحيوانات مثلاً جاء في سورة المؤمنون في حكاية وقصة خلقه الإنسان:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ - الآية الثانية بعد العاشرة بعد السملة من سورة المؤمنون وما بعدها من الآيات - ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴿١﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا - إلى هنا يشترك الإنسان مع سائر البهائم، ولكن الله ميزه بشيء آخر - ثم أنشأناه خلقاً آخر - هنا يأتي الفارق فيما بين الإنسان والبهائم وإلا فإن حكاية الخلق واحدة - فتبارك الله أحسن الخالقين﴾، منطقتهم ومنطق قرأنهم واحد..

- فيعلم أنه من طينة البهائم وسنخها - وسنخها من نوعها - إذ كان يقرب من خلقها هذا القرب - فخلقها الإنسان قريبة من خلقه القرد - وأنه لولا فضيلة فضله الله بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهائم - هذه هي الميزة فيما بين الإنسان والبهائم، هذا لا يعني أن البهائم لا تمتلك لغة، وعندها فهم وعندها إدراك بحسبها، لكن لا وجه للمقايسة فيما بين إدراك الإنسان وإدراك الحيوانات، ولذا كانت الحيوانات مسخرة للإنسان وكان الإنسان مسلطاً عليها، قوته في قوة إدراكه، النطق واضح إنها اللغة التي تتكلم بها منظومة اللغة، وهي هي اللغة بحروفها وكلماتها وأصواتها وأساليبها، والعقل هو العقل، القدرة المميزة عند الإنسان، وأما الذهن فالمراد من الذهن هنا الجانب الوجداني عند الإنسان، يراد من الذهن هنا القلب..

- علي أن في جسم القرد فضولاً أخرى تفرق بينه وبين الإنسان كالحظم - الحظم هو مقدم وجه الحيوان والذي يقال له البوز - والدنّب المسدل - الدنّب المسدل الذي يكون وراء الحيوان ويكون مسدلاً إلى الأسفل باتجاه الأرض - والشعر المجلس للجسم كلسه، وهذا لم يكن مانعاً للقرد أن يلحق بالإنسان لو أعطي مثل ذهن الإنسان وعقله ونطقه - للتشابه الواضح فيما بين القرد والإنسان، قد يتصور البعض من أن الكلام هذا فيه إشارة إلى نظرية التطور، لكن الكلام يخلو من هذا المعنى، لأن الإمام من البداية تحدث عن خلقه القرد معزلاً عن خلقه الإنسان إلا أنه أجرى مقارنة من جهة التشابه، لا يعني أن الإنسان كان قرداً، وهذا القرد قد تطور وتحول بعد ذلك إلى إنسان، هذا الكلام لا يفهم من كلمات إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه.  
لكن الكلام نستطيع أن نفهم منه أن قانون التطور موجود في هذه الكائنات، وأن القرد عنده الاستعداد أن يكون إنساناً هذا هو الذي نفهمه، لكن كلام الإمام لا يقول من أن الإنسان كان قرداً، ومن أن القرد تطور وصار إنساناً..

هذا الكلام فيه إشارة إلى أن قانون التطور موجود في الكائنات، وأن حالة التطور يمكن أن تتحقق إذا توفرت لها الظروف المناسبة - والفصل الفاصل بينه وبين الإنسان - في هذه النسخة جاء التعبير: (بالصحة)، يعني بالنحو الصحيح الكامل، وفي بعض النسخ جاء التعبير: (في الحقيقة)، والمعنى واحد - هو النقص في العقل والذهن والنطق - أما من الجهة البيولوجية هناك تشابه كبير وهناك استعداد بيولوجي عند القرد أن يكون للإنسان إذا ما أعطي هذه القدرات، هذا الكلام لا يعني أن الإمام هنا يؤيد نظرية التطور التي نعرفها، لكن كلام الإمام فيه إشارة إلى أن القرد وما يشابهه من الحيوانات هناك استعداد في هذه النماذج أن تكون كالإنسان إذا ما توفرت لها العقل والذهن والنطق..

فهذا الكتاب لا يميل دليلاً على صحة نظرية التطور وإنما في الكتاب ما يشير إلى أن قانون التطور قد جلبت هذه الحيوانات عليه، وأن استعداداً موجوداً لديها كي تتطور..

سَأَحَدُكُمْ حَوْلَ النَّظَرِيَّةِ وَلَكِنْ أَدْخَلَ فِي دَقَائِقِ تَفَاصِيلِهَا فِهَذَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِي..  
أَهْمُ نَظَرِيَّتَيْنِ يَكْثُرُ الْحَدِيثُ عَنْهُمَا وَأُرْفَتُ حَوْلَهُمَا الْكُتُبُ الْكَثِيرَةُ وَمَا بَيْنَ مُؤَيِّدٍ وَمُعَارِضٍ:  
- نَظَرِيَّةُ التَّطَوُّرِ.

- وَنَظَرِيَّةُ الْإِنْفِجَارِ الْكَبِيرِ، وَالَّتِي يَحِلُّو لِبَعْضِ أَنْ يَتَرَجَّمَهَا الْفِرْقَةُ الْكَبِيرَةُ، (The big bang).

هَاتَانِ النَّظَرِيَّتَانِ فِي زَمَانِنَا هُمَا أَكْثَرُ النَّظَرِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي تُدْرَسُ وَالَّتِي تُعْرَضُ فِي الْجَامِعَاتِ وَفِي وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ وَتُقَامُ النَّدَوَاتُ وَالنَّفَاقِشَاتُ وَالْإِخْتِلَافَاتُ بِخُصُوصِهَا..

هُنَاكَ تَرَابُطٌ فِيمَا بَيْنَ نَظَرِيَّةِ الْإِنْفِجَارِ الْكَبِيرِ وَنَظَرِيَّةِ التَّطَوُّرِ..

• الْمَوْقِفُ مِنْ نَظَرِيَّةِ التَّطَوُّرِ.

الَّذِينَ يُؤَيِّدُونَهَا وَيُدْفَعُونَ عَنْهَا دَفَاعاً مُسْتَمِيتاً؛

- هُمُ الْمَلْحَدُونَ: الْمَلْحَدُونَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِوُجُودِ إِلَهٍ بِوُجُودِ خَالِقٍ يُدْفَعُونَ دَفَاعاً مُسْتَمِيتاً عَنْ نَظَرِيَّةِ التَّطَوُّرِ لِأَنَّهُمْ يُرْجِعُونَ عَمَلِيَّةَ الْخَلْقِ إِلَى الصَّدَقَةِ، هَكَذَا نَشَأَ الْكَوْنُ وَهَكَذَا نَشَأَتِ الْكَائِنَاتُ، الْمَلْحَدُونَ يُؤْمِنُونَ بِنَظَرِيَّةِ التَّطَوُّرِ إِيمَاناً كَامِلاً.

- وَكَذَلِكَ الْإِلَهِيُّونَ؛ الْإِلَهُ أَدْرِيُونَ وَهُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ نَحْنُ لَا نَدْرِي هَلْ هُنَاكَ إِلَهٌ، أَمْ لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ إِلَهٍ.

الْمَجْمُوعَةُ الثَّانِيَّةُ الَّتِي تَرْفُضُ نَظَرِيَّةَ التَّطَوُّرِ رَفْضاً كَامِلاً؛

إِنَّهُمْ الدِّينِيُّونَ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ بِوُجُودِ إِلَهٍ بِوُجُودِ خَالِقٍ وَقَدْ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا، وَخَلَقَ كُلَّ مَخْلُوقٍ عَلَى حِدَةٍ، مَا يُسَمَّى بِالْخَلْقِ الْخَاصِّ، وَأَوَّلُ مَنْ رَفَضَ نَظَرِيَّةَ التَّطَوُّرِ هُمُ عُلَمَاءُ الدِّينِ الْيَهُودِيِّ، فِي الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ الْكَلِيَّاتِ وَالْمَعَاهِدِ وَالْمَدَارِسِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي تَتَّبِعِي الدِّينَ الْيَهُودِي لَا تُدْرَسُ نَظَرِيَّةُ التَّطَوُّرِ فِيهَا، وَكَذَلِكَ عُلَمَاءُ الدِّينِ الْمَسِيحِيِّ، وَلَمَّا عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ بِهَا أَيْضاً اصْطَفَوْا إِلَى جَانِبِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارِيِّ فِي رَفْضِ نَظَرِيَّةِ التَّطَوُّرِ..

هُنَاكَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمَعَاوِرِينَ، مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَكَادِمِيِّينَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ بِأَنَّهُمْ "أَنْصَارُ التَّصْمِيمِ الَّذِي"، هَذَا تَعْبِيرٌ مُعَاوِرٌ لَمَّا كَانَ مَعْرُوفاً؛ (بَدِيلِ النَّظْمِ)، فِي كُتُبِ عِلْمِ الْكَلَامِ، فِي كُتُبِ الْفَلَسَفَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ مَا يُسَمَّى "بَدِيلِ النَّظْمِ"، وَهُوَ الْإِتِّزَامُ وَالنَّظْمُ الدَّقِيقُ فِي بِنَاءِ هَذَا الْكَوْنِ وَخَلْقِهِ، هُنَاكَ نَظْمٌ مُنْضَبٌ، هَذَا هُوَ الَّذِي يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ خَالِقاً هُوَ الَّذِي أَوْجَدَ هَذَا النَّظْمَ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَوْجِدَ هَذَا النَّظْمَ وَهَذَا النَّظْمُ مِنْ دُونِ مُنْظِمٍ قَدْ نَظَّمَهُ مَا يُسَمَّى بِدَلِيلِ النَّظْمِ، الْعُلَمَاءُ الْأَكَادِمِيِّونَ الْمَعَاوِرُونَ هُنَاكَ مِنْهُمْ فِي الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ أَوْ فِي الْبِلَادِ الْأُورُوبِيَّةِ هُنَاكَ مِنْهُمْ مَنْ يَقَالُ لَهُمْ إِنَّهُمْ أَنْصَارُ التَّصْمِيمِ الَّذِي، يَقُولُونَ مِنْ أَنَّ الْكَوْنَ قَدْ صُمِّمَ تَصْمِيماً ذَكِيّاً فَلَا بُدَّ مِنْ مُصَمِّمٍ ذَكِيٍّ.

هؤُلاءِ عَلَى مَجْمُوعَتَيْنِ:

مَجْمُوعَةٌ تُؤْمِنُ بِإِيمَانِ الدِّينِيِّينَ؛ مِنْ أَنَّ نَظَرِيَّةَ التَّطَوُّرِ بَاطِلَةٌ جَمَلَةً وَتَفْصِيلاً..

وَهُنَاكَ مَجْمُوعَةٌ ثَانِيَّةٌ مِنْ أَنْصَارِ التَّصْمِيمِ الَّذِي؛ يَعْتَقِدُونَ بِوُجُودِ إِلَهٍ وَوُجُودِ خَالِقٍ لَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ بِصِحَّةِ نَظَرِيَّةِ التَّطَوُّرِ، يَقُولُونَ مِنْ أَنَّ الْمَصْمَمَ الَّذِي الَّذِي صَمَّمَ الْكَوْنَ أَجْرَى عَمَلِيَّةِ الْخَلْقِ عِبْرَ قَوَانِينِ التَّطَوُّرِ، وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ نَظَرِيَّةَ التَّطَوُّرِ سَتَكُونُ صَحِيحَةً لَكِنَّا لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ تَحْتَ سُلْطَةِ الْخَالِقِ..

مُشْكَلَةٌ فِي الْبَيْنِ:

هِيَ مُشْكَلَةُ رَجَالِ الدِّينِ؛ رَجَالُ الدِّينِ مِنَ الْيَهُودِ، مِنَ النَّصَارِيِّ، مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ السُّنَّةِ أَوْ الشَّيْخَةِ يُنَاقِشُونَ النَّظَرِيَّةَ نَاقِشاً جَاهِلاً، الْعُلَمَاءُ الْأَكَادِمِيِّونَ مِنْ أَنْصَارِ التَّصْمِيمِ الَّذِي يَرْفُضُونَ النَّظَرِيَّةَ يُنَاقِشُونَهَا نَاقِشاً عِلْمِيّاً بِحَسَبِ الْعُلُومِ الْمَعَاوِرَةِ، وَلِذَا نَاقِشَهُمْ يَأْتِي مُقْتَعاً لِلَّذِينَ يَقْتَنِعُونَ بِهِ، وَحِينَمَا يَتَحَدَّثُونَ عَنْ نَظَرِيَّةِ التَّطَوُّرِ إِنَّهُمْ يَتَحَدَّثُونَ عَنْهَا بِفَهْمٍ وَبِعِلْمٍ وَبِدَقَّةٍ، أَمَّا رَجَالُ الدِّينِ لَا يَفْهَمُونَ نَظَرِيَّةَ التَّطَوُّرِ وَيُنَاقِشُونَهَا وَكَأَنَّهَا مَسْأَلَةٌ كَلَامِيَّةٌ، وَلِذَا حِينَمَا يَقْرَأُ الْمُتَخَصِّصُونَ الْأَكَادِمِيِّونَ كُتُبَ رَجَالِ الدِّينِ أَوْ يَسْتَمِعُونَ إِلَى أَحَادِيثِهِمْ يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ، لِأَنَّهُمْ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ شَيْءٍ لَا وَجُودَ لَهُ، هَذِهِ مُشْكَلَةٌ مُوجُودَةٌ فِي أَجْوَاءِ رَجَالِ الدِّينِ..

سَأَنْتَقِلُ بِكُمْ إِلَى دَارُوَيْنِ نَفْسِهِ.

هُوَ عَالِمٌ أَحْيَائِيٌّ، وَأَسَاساً كَانَ طَبِيباً مُلِمّاً بِالثَّقَافَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْمَعَاوِرَةِ فِي زَمَانِهِ، عَالِمٌ إِنْجِلِيزِيٌّ بَرِيْطَانِيٌّ، وُلِدَ سَنَةَ (١٨٠٩)، تَوَفِّيَ حِينَمَا بَلَغَ السَّنَةَ الثَّلَاثَةَ وَالسَّبْعِينَ مِنْ عُمُرِهِ تَوَفِّيَ سَنَةَ (١٨٨٢) مِيلَادِيٍّ، وُلِدَ فِي عَائِلَةٍ مَسِيحِيَّةٍ مُوحِدَةٍ، هُنَاكَ مَسِيحِيَّونَ لَا يَعْتَقِدُونَ بِالثَّلَاوِثِ الْمُقَدَّسَةِ وَإِنَّمَا يَعْتَقِدُونَ بِإِلَهٍ وَاحِدٍ، دَارُوَيْنِ وُلِدَ فِي عَائِلَةٍ تَدِينُ بِهَذِهِ الدِّيَانَةِ، عَائِلَتُهُ مِنْ جِهَةِ أَبِيهِ يَدِينُونَ بِالدِّيَانَةِ الْمَسِيحِيَّةِ التَّوْحِيدِيَّةِ، وَعَائِلَتُهُ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ يَدِينُونَ بِنَفْسِ هَذِهِ الدِّيَانَةِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُتَدَبِّناً، شَيْئاً فَشِيئاً أَحَدٌ يَنْفَرُ مِنَ الدِّينِ حَتَّى صَارَ لَا أَدْرِيّاً، فَهُوَ مِنَ الْمَجْمُوعَةِ الْإِلَهِيَّةِ.

مَا ذَكَرَهُ فِي آخِرِ كِتَابِهِ (أَصْلُ الْأَنْوَاعِ)، الْمَصْدَرُ الْأَصْلُ لِدَارُوَيْنِ حَيْثُ كَتَبَ نَظَرِيَّةَ التَّطَوُّرِ، طَبَعَتْهُ مَكْتَبَةُ النَّافِذَةِ، فِي السُّطُورِ الْآخِرَةِ مِنَ الْكِتَابِ يَقُولُ: إِنَّ هُنَاكَ جَمَالاً وَجَلَالاً فِي هَذِهِ النَّظَرَةِ عَنِ الْحَيَاةِ - يُشِيرُ إِلَى مَضْمُونِ نَظَرِيَّةِ التَّطَوُّرِ - بِقَوَاهِ الْعَدِيدَةِ الَّتِي نَفَخَهَا الْخَالِقُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي عَدَدٍ قَلِيلٍ مِنَ الصُّورِ أَوْ فِي صُورَةٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّهُ لَبَيِّنَمَا ظَلَّ هَذَا الْكُوكَبُ يَدُورُ طَبَقاً لِقَوَانِينِ الْجَازِبِيَّةِ الثَّابِتَةِ كَانَتْ وَمَا زَالَتْ تَتَطَوَّرُ مِنْ مِثْلِ تِلْكَ الْبَدَايَةِ الْبَسِيطَةِ صُورٍ لَا نَهَائِيَّةٍ مِنَ الْحَيَاةِ غَايَةً فِي الْجَمَالِ وَغَايَةً فِي الْعَجَبِ - هَذِهِ الْجَمَلُ تُشِيرُ إِلَى إِيمَانِ الْخَالِقِ، لَكِنَّ الْحَقِيقَةَ لَيْسَتْ كَذَلِكَ، لِأَنَّ دَارُوَيْنِ كَتَبَ هَذَا الْكَلَامَ لِأَجْلِ أَنْ يَدْفَعُ ضَرراً سِيلْحَقُ بِهِ مِنَ الْأَصْوَاتِ الرَّافِضَةِ لِنَظَرِيَّتِهِ.

دَارُوَيْنِ اسْتَعْجَلَ فِي طَرَحِ نَظَرِيَّتِهِ وَلَمْ يَكُنْ رَاجِعاً فِي طَرَحِهَا، هُوَ نَفْسُهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ، وَيَقُولُ مِنْ أَنَّ النَّظَرِيَّةَ هَذِهِ بِحَاجَةٍ إِلَى بَحْثٍ طَوِيلٍ، سَافِرٍ دَارُوَيْنِ فِي بَعْتِهِ عِلْمِيَّةٍ عَلَى مَتْنِ سَفِينَةٍ مَلِكِيَّةٍ، الْحُكُومَةُ الْبَرِيْطَانِيَّةُ هِيَ الَّتِي وَقَرَّتِ الْإِمْكَانَاتِ لِتِلْكَ السَّفِينَةِ وَلِتِلْكَ السَّفِيرَةِ، قَضَى دَارُوَيْنِ خَمْسَ سِنَوَاتٍ فِي تِلْكَ السَّفِيرَةِ الْعِلْمِيَّةِ بِأَحْتَاٍ حَوْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ، حِكَايَتُهُ طَوِيلَةٌ، لَكِنَّهُ يَعْتَرَفُ مِنْ أَنَّ الْمُدَّةَ الَّتِي قَضَاهَا فِي تِلْكَ السَّفِيرَةِ الْعِلْمِيَّةِ لَمْ تَكُنْ كَافِيَةً، وَبَعْدَ أَنْ رَجَعَ إِلَى بَرِيْطَانِيَا وَعَادَ إِلَى مَوْطِنِهِ اسْتَمَرَ فِي الْبَحْثِ، لَكِنَّهُ فُوجِيَ بِأَنَّ عَالِماً أَحْيَائِيّاً مِنَ الْعُلَمَاءِ الْبَرِيْطَانِيِّينَ يَبْحَثُ فِي نَفْسِ الْمَوْضُوعِ "أَلْفَرِيدُ وَالْإِس"، وَخَافَ دَارُوَيْنِ أَنْ يَسْبِقَهُ فِي نَشْرِ أَبْحَاثِهِ فَسَارَعَ إِلَى نَشْرِ نَظَرِيَّتِهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي عَنَوَانُهُ: (أَصْلُ الْأَنْوَاعِ)، الْمَرَادُ مِنَ الْأَنْوَاعِ أَنَّهَا أَنْوَاعُ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ، نَظَرِيَّةُ التَّطَوُّرِ لَيْسَتْ خَاصَّةً بِالْحَيَوَانَاتِ، إِنَّهَا شَامِلَةٌ لِلتَّطَوُّرِ فِي الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ، وَهَذَا وَاضِحٌ إِذَا مَا نَظَرْنَا إِلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ، إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخِيلُنَا دَارُوَيْنِ مِنْ أَنَّ النَّبَاتَاتِ تَطَوَّرَتْ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، وَمِنْ أَنَّ الْحَيَوَانَاتِ تَطَوَّرَتْ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ..

حِينَمَا نَشَرَ كِتَابَهُ وَأَطْلَعَ وَالْإِسَ عَلَى هَذَا فَتَوَاصَلَ مَعَ دَارُوَيْنِ وَنَشَرَا مَعاً مِنَ الْمُنْشُورَاتِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ وَحِدَةِ النَّظَرِيَّةِ فِيمَا بَيْنَهُمَا.

فِي الْكِتَابِ نَفْسِهِ، الْفَصْلُ السَّادِسُ: "مُشْكَلَاتُ النَّظَرِيَّةِ".

يعترف بوجود مشكلات علمية ومشكلات بحثية، لكن المشكلات هذه لا تُعيقه في مسألة إيمانه بنظريته، إلا أنه يتوقع في قادم الأيام أن يصل إلى أدلة جديدة، أن تأخذ التحقيقات إلى الغاية التي يريد الوصول إليها من أن يثبت النظرية بكل تفاصيلها، ومن أنها تكون النظرية الحاكمة في الأجواء العلمية.

من الكتب المهمة التي تناولت في دراستها شخصية داروين، الكتاب مترجم إلى العربية: (الجانب المظلم لتشارلز داروين)، تحليل نقدي لأحد أيقونات العلم؛ "جيري بيرجمان"، طبعة مركز تبصير / الطبعة الأولى / القناطر الخيرية / مصر العربية / المؤلف تتبعت كتب داروين، وتتبع الذين كتبوا عن داروين من أنصاره من القريبين منه.

في الصفحة الحادية والعشرين بعد المائة، بعضاً مما جاء في الكتاب: كتب داروين بتاريخ: ٢٣ / إبريل / ١٨٢٩ / الكلمات المؤثرة التالية إلى ابن عمه لتعزيتة في فقدان أخته المتوفاة حديثاً: أنا متأكد أنك تُدرك جيداً أين تجد المواساة إنها في الراحة النقية الأبدية كما يقول الكتاب المقدس - هذا من بقايا ثقافته الأسرية، كان في العشرين من عمره لا زال في مقتبل الشباب.

-عندما توفيت ابنته المحبوبة - التي كان يحبها كثيراً - أنا، عام ١٨٥١، أي بعد ٢٢ عاماً من تاريخ الخطاب أعلاه - الذي قرأته عليكم - لم يشر داروين إلى المواساة والعزاء الموجود في الكتاب المقدس، بل أشار إلى اليأس بقوله: لا توجد حياة بعد القبر لقد ذهبت أنا إلى الأبد - انتهت.

-كتب داروين في: ٢٩ / إبريل / ١٩٥١ ، عن ابنته أنا بقوله: لقد عانت كثيراً، عزاؤنا الوحيد أن حياتها القصيرة كانت سعيدة، وأضاف لقد فقدنا فرحة المنزل وسلوان شيوختنا. بعد عامين من موت أنا كتب داروين في: ١٠ / أغسطس / ١٨٥٣ إلى صديق مقرب وهو ابن عمه القس فوكس الذي كان أيضاً قد فقد طفله يقول: الوقت يخفف وينسي مشاعري الصادقة وأسفي - "الوقت يخفف وينسي"؛ إنه يتحدث عن تجربته حينما فقد ابنته المحبوبة لديه أنا. هذه لقطات نخبرنا عن الحالة النفسية التي كان عليها داروين..

من الأمور الواضحة في مؤلفات داروين: عدم احترامه للمرأة وهو يعتقد بأن المرأة بحسب نظرية التطور من أنها كائن متخلف ومن أن الرجل يفوقها كثيراً، وهذا الأمر يصر عليه إصراراً شديداً، ولذا فإن الذين يكتبون من النساء أو من الرجال في الفكر النسوي يحملون عليه حملة شديدة ويرفضونه رفضاً قاطعاً لأنه يضع المرأة في مكان تكون فيه كائناً متخلفاً، هذا هو الذي يتبناه ويعتبره جزءاً من نظرية تطوره..

من الأدلة التي يستدلون بها على صحة نظرية التطور: "الأحفوريات".

الأحفوريات بقايا الهياكل العظمية لحيوانات منقرضة، لحيوانات توجد الآن بنحو متطور هذه هي الأحفوريات، داروين عثر على بعض الأحفوريات وجعلها دليلاً من الأدلة القوية التي اعتمدها في توثيق نظرية التطور، ما بين وفاة داروين وسنة (٢٠٢٣) لقد عثر العلماء المتخصصون على أحفوريات كثيرة جداً، كل شيء تغير في أجواء البحث العلمي، تطورت العلوم تطوراً هائلاً..

النوع الثاني من الأدلة: "دراسة عمليات التدجين".

إن كان في الحيوانات أو كان في النباتات، هناك عمليات تدجين يدجنون ما بين الحيوانات لأجل إنتاج ما هو الأفضل، وكذلك يدجنون ما بين النباتات لإنتاج ما هو الأفضل، الدراسات والتحقيقات عبر التجريب وعبر المراقبة والمتابعة والملاحظة المحسوبة الدقيقة استطاعوا أن يوظفوا النتائج أن تكون أدلة قوية لإثبات نظرية التطور..

النوع الثالث من الأدلة: "علم الجينوم"، وهو علم جديد، إنها دراسة السلاسل الجينية، علم الجينوم فتح فتحاً عظيماً عند العلماء لأجل إثبات نظرية التطور.

النوع الرابع من الأدلة: "التشريح".

معلومات تستند إلى الأحفوريات، ومعلومات تستند إلى ما استنتج من عمليات التدجين الحيواني والنباتي، إضافة إلى النتائج التي وصلوا إليها من خلال الأبحاث والدراسات في علم الجينوم..

الفكرة الإجمالية لنظرية التطور:

من أن الكرة الأرضية انفصلت عن الشمس بعد حوادث الانفجار وما تلا الانفجار من فوضى ومن انتظام بعد تلك الفوضى، فانفصلت الأرض عن الشمس وكانت شعله نارية إلى أن انطفأت النار وصارت الأرض باردة وتولد الماء فيها، كل هذا يجري من دون فاعل قطعاً، وهكذا شيئاً فشيئاً التفاعلات فيما بين الماء والغازات التي تولدت حول الأرض الهيدروجين والنتروجين الهيليوم إلى غيرها، تولدت الحوامض الأمينية، إنها بداية الحياة وبداية تكوين البروتين، حتى امتلأت المياه بالحوامض الأمينية وتولدت بعد ذلك الماء والعضوية وامتزجت بتلك الحوامض فتشكلت الحساء الخلقي، ومن هذا الحساء تولدت الخلية الحية الأولى، هكذا تولدت بطرفة من الطفرات، هذه الخلية الأولى هي التي انطلق منها داروين ليؤسس شجرة الحياة، فكانت المخلوقات الأميبية، وتطورت شيئاً فشيئاً حتى وصلنا إلى الإنسان، من الخلية التي وجدت هكذا وكانت الحياة فيها تكونت الأميبا، ومن الأميبا تطورت الحياة والكائنات، فكانت النباتات وكانت الحيوانات إلى أن وصلنا إلى الإنسان، وهذا التطور إنما حدث عبر ملايين السنين، حينما تقول نظرية التطور من أن الإنسان جاء من أصول حيوانية سابقة جاء من القردة لا تقصد النظرية من أن قرداً وقردة مارسا العملية الجنسية ونتج من ذلك إنساناً، إنما هي عملية تطور بطيئة وبطيئة جداً..